النقد وحركة التجـــ

جبرا ابراهيم جبرا
عبدالوهاب البياتي
د. جلال الخياط

ندوة ساهم فيها : الناقد ، والروائي : جبـــرا ابراهيم جبرا ، الشاعر عبدالوهاب البياتـي ، الناقد الدكتور جلال الخياط .. وأدارها مراسل الآداب في العراق : ماجد السامرائي)

من يرصد مسيرة « الآداب » عبر خمسة وعشرين عامـا قطعتها منذ صدور عددها الاول حتى اليوم ، يجد انهـا قدمت الكثير ، على كل مستويات الثقافة العربية ، وفي مختلف حقولها الابداعية .. وبالذات على صعيـــد « التنقد » ـ الذي يهمنا الآن بحثه ورصد آفاق المساهمـة التي قدمتهـا « الآداب » في حقله .. سواء في ما يتعلق بتاصيل مفهوم نقدي عربي جديد، أم على مستوى الممارسة النقدية لما تنشره من نتاج ، والنتاج العربي عموما . ولا أظـن ان هناك من ينكر الدور الذي لعبـه دلـــك المسار الجديد الذي اختطته ، والمتمثل في باب « قرأت العـدد الماضي من الآداب » ، الذي ساهم ، ولا شك ، في اغناء الحركـة الابداعية العربية ، وعلى كل مستوى من مستوياتها .. كما ساهم في بلورة مفهوم نقدي عربي سليم ، له بعده الواقعـي ، ولكـن غير الدوغمائي ..

كل هذا ، جاء في حقبة دقيقة ومهمة من تاريخنـا العربـي الجديد .. سواء فيمـا يتصل بالحياة الثقافيـة نفسها ، ام بحركـة الابداع ـ كتعبيـر عن الحقيقـــة

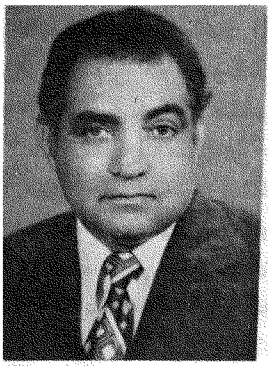

ـــديد من خـــلال «الآداب»

الحضارية العربية الجديدة ـ أم بحركة الواقع العربي ذاته .. وهي حقبه حرجة ودقيقة .. شهدت هـذا الميـــلاد الجديد في أكثر من مجال ..

واذا كان عسيرا علينا في لقاء كهذا يغلب عليه طابع العفوية ، ان نحدد ، كمـا يفعل الباحثـــون ، الخصائص المميزة التي اضطلعت لها « الآداب » على صعيد الحركـة النقدية ، وفي بلورة قيم التجديد في الادب العربي ، وفي الشعر بصورة خاصة .. فساعدت ، من خلال ذلك ، على نمو وتبلور كثير من القيم والمفـــاهيم والاتجاهات بمـا أفسحته من مجال كان ، ولا شك ، منبرا حرا ، في أفق الالتزام القومي التقدمي .. اقول : آذا كان عسيرا علينا هنـا بحيث نعرض لجميع تلـك الخصائص .. فانـــه يوسعنا ، كمـا أظـن ، آن نتلمس بعض الابعاد ، ونحـدد النتائج العامة ، او شيئا منها ، كمبادىء عامة في هـــذا الاتجاه الذي استطاعت « الآداب » عبر ربع قرن من حياتها ، ان تستوعبه ضمـن توجه جاد ، فتعبر عنه خير تعبير ، بحيث جاء خروجا على كثير من التقاليد الادبية والمفاهيـم الثقافيـة الجامدة ، وارهاصا بفتح جديد ، ووعي جديـد في الحياة الثقافيـة العربية .. اذ كانت ، في كثير ممـا طرحته عبر صفحاتها ، معبرة عـن اصالة وعمق تبعهمـا ، او نتج عنهمـا تغيير جذري في التقاليد الادبية العربية .

حبذا لو نبدأ من هذا .. من هـــذه الحقائـق ، التاريخية والموضوعية ، التي اكدتها « الآداب » .

الدكتـور جـلال الخياط :

ـ حين صدرت « الآداب » في مطالع الخمسينات كانت حدثا فريدا ، أقبل عليهـا الادباء ، واستقطبت حولها القراء .. وسرعان مـا اتخذت سمات مدرسة ادبية ، او تيار جديد في الادب .. واصبح النشر فيها نوعا مـن التقويم النقدي ، فاستطاعت ان تحرك الحياة الادبية ، منا صدورها . فالمقالات التي تنشر ، والقصائد .. الخ .. تطرح آراء او اشكالا جديدة جريئة تحمل الاثارة للاخرين وقد دعمت المجلة ما تقدمه للقراء من ادب خالص بمقالات نقديـة تتضمن نوعا من وعي ، او منحى نقدي غير معهود فالقـارىء الجديد بدأ يخرج من اهاب المتلقـي الصامت الذي لا دور لـه سوى الانصات والاقتناع والاعجـــاب والتصفيق ، مهمـا كان الاثر الادبي رديئا . ونزع الشاعر مسوح التلقين والامر والخطابة والتقريرية والمباشرة وحل المعضلات الكبيرة بأوامر شعرية سريعة ، دون تقديـــم الحلول العمليـة ، او الايحاء بها ، ودون الالتفات الـى ضرورة الفن وجماليته ومدى ابداعه في تقديم المضمون الحديث .

واتفق صدور « الآداب » ووجود جيل مستقل مـن المبدعين يريد ان يؤكـد ذاته ، وجيل من القراء يتطلع الى ما يغنيه ويثريه .. فأخذت المبادرة في توجيه جمهـور القراء ، وهم في اعتاب عهـد جديد للكلمة العربية ، بتقديم الامثلـة النقديـة الجيدة والمقالات المستفيضة .

ـ عبدالوهاب البياتي :

لقد ظهرت مجلة « الآداب » في اوانها وزمانها ، فكل المجلات التي سبقتها ، او كانت قد صدرت قبلها ، كانت قد لفظت انفاسها ، او انها كانت تحتضر ، ولم تعد مستطيعة ان تستوعب التيارات الجديدة التي بدأت تشق طريقها الى قلوب واذهان القراء العرب ، بل ان هذه المجلات الميتة ، او المحتضرة كانت تصب « الخل بالزيت » ، او تضع العصي في عجلات حركة الادب النامية الجديدة .. بل ان بعض رؤساء تحرير هذه المجلات قد فقدوا وقارهم وتحفظهم ، فشهروا سيوفهم الخشبية في وجه التيار الجديد . ومن هنا جاء صدور مجلة «الآداب» لكي يضع النقاط على الحروف ، ويؤسس حركة جديدة على انقاض القديم المنهزم ، اوالذي فقد القدرة على الديمومة والمواصلة والتواصل .

وكان اختلاف مجلة « الآداب » عن غيرها من المجلات التي ـ ربما ـ صدرت ايضا في نفس عام صدورها ، انها ـ اي الآداب ـ كانت مجلة قومية تقدمية ، تمثل جبهة وطنية ثقافية عربية واسعة وعريضة . كما انها حاولت ان تضع الحركة الادبية في الوطن العربي في مسارها الصحيح ، وذلك بدعوتها الى الالتزام والى ربط حركة التجديد بخاصة ، والادب بشكل عام بحركة المجتمع . بعكس بعض المجلات الاخرى التي وقفت موقفا معاديا وعدائيا من حركة ربط الادب بالمجتمع ، ومن الالتزام ، وراحت هذه المجلات المشبوهة تدعو الى محاربة الالتزام ودعاته وممثليه . ولكن الدعوة الى الاغتراب والكوزموبوليتية انهزمت امام مد الثورة العربية الكاسح الذي ساد الخمسينات من هذا القرن ، وانتصرت « الآداب » ايضا ، بحيث انها استطاعت ان تبلور اتجاها ادبيا قوميا انسانيا ، ظل هو الغالب حتى الآن ، بل اصبح هو التيار الاصيل الوحيد .

جبرا ابراهيم جبرا :

.. ولعل احد اسرار نجاح « الآداب » هو انها اقتحمت الميدان بفتوة وحيوية ونضارة . وفي سعيها نحو التجديد لم تحصر همها فقط في ذوي الاسماء الكبيرة (سابقا) ، على اهميتهم احيانا ، بل راهنت على الشباب. وقد أتت المجلة عن طريق الدراسات النقدية والترجمات المنتقاة ، برياح الوجودية التي كانت ، يومئذ ، قد عنفوانها . وبتفاعلها اليومي مع احداث الوطن العربي، في فترة مليئة بالعنف والفاجعة ، حولت ، عن قصد او غير قصد ، فكرة الالتزام ، بمعناه الوجودي ، الى ما يخدم الغرض القومي العربي . فاستقطبت ، في الحال ، عددا كبيرا من ذوي المواهب الفتية في شتى اقطار الوطن العربي ، وبقي الشباب الذهني احدى صفاتها الظاهرة لمدة طويلة . وكان لهذا الاستقطاب اثر قوي اخر في تهديم الحواجز الاقليمية التي كانت من ظواهر النشر في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية . فشددت التواصل الفكري السريع بين القطر والقطر ، مما ساعد على ان يكون للمدرسة الشعرية الجديدة في العراق ، مثلا ، اثرها المباشر على امتداد اساحة العربية . وكان في هذا التواصل السريع المشحون بروح النقد والوعي الفكري لاساليب التجديد وردود الفعل ، تعميق اضافي مهم لحس الوحدة المصيرية والترابط الذهني بين ارجاء العروبة .

ـ عبدالوهاب البياتي :

ان مجلة « الآداب » ظلت امينة لموقفها القومي والانساني ، بالرغم من المحن والكوارث التي مر بها الوطن العربي ، وظلت عرضة للمنع والمصادرة في اقطار عربية في فترات زمنية مختلفة ، وكان يصيبها ، احيانا ، ما يصيب المناضل الثوري من وهن وتعب وقلق وجزع ، ولكنها ظلت في حدود الخط العام ، كما قلت ، امينة على حمل الامانة ، لم تتراجع ، ولم تساوم .. هذا اذا علمنا أن المغريات امامها كانت كثيرة ووفيرة .

كما ان المجلة شجبت كثيرا من المواقف التي كانت تتخذها بعض الحكومات العربية من قضايا حرية الرأي والضمير والفكر ، ودافعت عن كثير من الادباء الذين منعت كتاباتهم ، او اعتقلوا او سجنوا بسبب نشاطاتهم الابداعية والوطنية . كما ادانت وفضحت كثيرا من المؤسسات والمنظمات والاتحادات الثقافية العربية والاجنبية التي كانت تتخذ موقفا معاديا من قضايا الشعب العربي المصيرية . وعرّت وفضحت كثيرا من الكتاب الاجانب الصهاينة ، او الذين يتخذون موقفا منحازا الى جانب العنصرية الصهيونية .

وبهذا الشكل او ذاك ، من اشكال النضال، استطاعت « الآداب » ان تفك الحصار عن الكلمة العربية ، وان تكون منبرا للضمائر العربية الحية والاقلام المؤمنة بقضية العرب الكبرى : الوحدة والحرية والاشتراكية .

* حبذا لو نتوقف هنا عند « الدور النقدي » للاداب ، وما لعبته عبر خمسة وعشرين عاما من حياتها في المسار النقدي الادبي العربي ... سواء على صعيد « المصطلح النقدي » بذاته ، ام على صعيد بلورة اتجاه نقدي واضح ، يدعم الحركة الابداعية ، ويرتفع بها .. مؤكدا الكثير من القيم الايجابية التي جاءت بها .

ـ جبرا ابراهيم جبرا :

كان لباب « قرأت العدد الماضي من الآداب » اهمية خاصة بررت ابتكار الدكتور سهيل ادريس لهذا الاتجاه في معالجة المقالات والقصائد والقصص معالجة آنية وتفصيلية لم يكن اي كاتب ليحلم بها في ما مضى ، او اذا نشر في اية مجلة اخرى . وكان لهذه الطريقة في

المعالجة مفعول في انفس الكتاب انفسهم ـ فضلا عن الاثارة التي كان يجدها القراء ويتمتعون بها حين يطلعون على ما يقوله النقاد ـ مدحا او قدحا ، تحليلا او « شرشحة » ـ لما قرأوه هم في العدد الماضي . المهم هو هذا الاثر في انفس الكتاب .

لقد خيّل اليّ ان كل من أراد ان ينشر في «الآداب» كان يتحسب لهذا النقد الذي سينشر بعد شهر ، فيحاسبه على ما كتب . وكان في ذلك نوع من الالتزام . الكاتب بأن يقول أحسن ما لديه ، وان يصوغه على احسن ما يستطيع ، وان يعنى بجزئياته التي يعلم انها ستعرض لفحص مجهري .

ولما كانت النزعة السائدة في « الآداب » هي نزعة تجديد والتزام للقضايا القومية والمهمة ، والربط بين هذين الالتزامين .. فقد كان لذلك ايضا اثره الخاص في قدح زناد المخيلة لدى الشباب ، والشيوخ ايضا ، ضمن اطار المسؤولية الفكرية التي يحاسب الكاتب نفسه عليها لمعرفته ، على الاقل ، بأنها ستجابه امتحان الناقد في العدد القادم .

طبعا ، كان « للاداب » دور نقدي اهم من ذلك بكثير .. فنقد الجزئيات ـ كنقد قصيدة واحدة او قصة واحدة ـ لا يحقق اكثر من انتباه خاص لدى من يكتب في برهة معينة .. انما المهم هو النقد ، بالمعنى الاوسع ، لاعمال كبيرة ، وبوجه خاص الاعمال الادبية العربية الجديدة ووضعها جميعا في اطار نقد لاعمال كبيرة للاداب الاخرى . فبقدر ما كانت مجلة « الآداب » مجلة عربية تعنى بمرحلة التجديد في الثقافة العربية ، فقد اقامت ، ايضا ، الصلة بين هذه الثقافة والثقافات الحية في اللغات الاخرى . ولا شك ان التجديد ، سواء في الشعر أم في النقد أم في القصة ، الذي عرفناه في ربع القرن الاخير ، كان مرتبطا بالكثير من التجديد في الثقافة المعاصرة في العالم ، الذي مثلته مجلة « الآداب » .

ـ عبدالوهاب البياتي :

بالنسبة لحركة النقد ، استطاعت مجلة « الآداب » ايضا ان تعيد حراثة الارض المحروقة الموصدة في وجه هذه الحركة ، وان تبذر البذور المتنوعة المختلفة ، واستطاعت ، ايضا ، ان تفتح الابواب لكافة الوان النقد الادبي ، الذي كان قد تحجر عند اللون السلفي الموروث ، او اللون الذاتي المنفعل العشوائي . وقد تم ذلك بفتح صفحات المجلة لكافة الوان النقد الذي مارسه النقاد انفسهم ، والشعراء والكتاب والقصاصون والقراء ايضا ، بحيث اصبح النقد الادبي ليس حكرا على النقاد حسب ، بل ملك اي كاتب او قارىء ، او اي ممارس لاي لون من الوان الادب . كما انها غذت حركة النقد الادبي العربية بما قامت به من ترجمات من مختلف حركات النقد الادبي في العالم ، دون أن تدع لاي تيار منها أن يسود ويطمس حركة النقد الادبي العربي الوليدة الناشئة .

د . جلال الخياط :

ان التقليد الذي سارت عليه « الآداب » في نقد ما تنشر ، ولاول مرة بين المجلات العربية ، كما اظن ، عاد على المجلة وكتابها وقرائها بفوائد ، وجعل الكتاب يحذرون ويقدمون خير ما يستطيعون ـ كما اشار الاستاذ جبرا ـ وانتظر القراء ذلك النقد ليروا مدى تطابقه والانطباع الذي احدثته مواد العدد الماضي في اذهانهم . ورافق ذلك التقليد النقدي ترحيب المجلة بمناقشة القراء والكتاب للاراء النقدية ، سلبا وايجابا .. وما زلنا نذكر الخصومات والمعارك النقدية الحامية التي قدمتها لنا « الآداب » ، وخاصة في الخمسينات ، والاصداء التي كانت تحدثها في الاندية الادبية وجلسات المقاهي واجتماعات الادباء ، وتأثير ذلك بين طلبة الجامعات وغيرهم ..

ولم يقتصر دورها على النقد التطبيقي والاثارة النقدية المفيدة ، ولكن تعدت التطبيق الى التنظير النقدي لقضايا ادبية كثيرة عبر جملة من المقالات النقدية الجيدة ، في اعدادها المتتالية ، فكان صدور « الآداب » يرافق تحولات كثيرة في عالم الادب والنقد تبعا للتحولات الاجتماعية والسياسية وعمق الثقافة وتنامي الوعي ، ومولد الشاعر العربي الجديد ، والكاتب العربي المتميز . ولو سئلت عن خير مصدر لتتبع الحركة النقدية في الادب العربي ، عبر ربع قرن ، لما ترددت في ان اشير الى مجلة « الآداب » ، وليس لنا حين ندرّس النقد التطبيقي سوى ان نرجع الطلبة الى مقالات التنظير النقدي في « الآداب » ، والى قراءة مواد عدد ما ، ومناقشة نقده في العدد التالي ... وبهذا اثرت « الآداب » في الحركة النقدية واثرتها ، وقدمت في اعدادها سجلا لمسيرة ادبية مشرفة ، بدأت ببداية عهد جديد للادب العربي . فأنا اعتقد ان النصف الاول من القرن العشرين ، بشعرائه وكتابه ومفكريه ، كان يوطيء لهذه النهضة الادبية الحقيقية التي نحيا بداياتها الاولى اليوم ، او كان النصف الاول من هذا القرن طريقا بين عهود الزمن الضائع منذ سقوط بغداد حتى نهاية القرن التاسع عشر ، والمستقبل الذي ينضم يوما بعد يوم الى الحاضر .

ـ جبرا ابراهيم جبرا

كان في وضع الكتابات العربية الجديدة ، عن طريق هذا النقد ، في سياق الابداع المعاصر في العالم ، مزيد من الدفع لها في اتجاهات الحداثة . وهو دفع كنا راينا شيئا منه في مجلات اخرى تصدر في مصر ولبنان ، غير ان « الآداب » منحته زخما خاصا ، وجعلته ، بتقدم الخمسينات ، الصفة المميزة لافضل ما يكتبه الشباب من شعر وقصة .. الا انها في تنظيرها الشعري ، في

سنواتها الاولى ، كانت ابعد وعيا من الشعر الذي سمحت لنفسها فعلا بنشره ، وهو ما تداركته فيما بعد .

وقد ساهمت « الآداب » (بعد ان فعلت ذلك مجلة « الاديب » لوقت ما) في اخراج النقد العربي من نطاقه المحدود ، سابقا ، بمراجعة الكتب ، الى آفاق الدراسة التفصيلية المدعمة بالفكر والمعرفة المتنوعة . وبهذا كان لها دورها الكبير في ادخال النقد العربي في مجال العملية الابداعية نفسها ..

ـ عبد الوهاب البياتي :

ـ بالنسبة لحركة الشعر الجديدة ، كانت مجلة « الآداب » هي المجلة الاولى التي استقطبت رواد هذه الحركة ومريديها وتلامذتها ، وفتحت لهم صفحاتها ، بحيث ان صدور هذه المجلة كان بمثابة علامة أو نبوءة بأن زمن الشعر التقليدي قد بدأ يمضي وينتهي ، أو انه لم يعد قادرا أو مستطيعا على استيعاب هموم الانسان العربي الذي خرج من عصر المجاعة الروحية والمادية .

ـ د. جلال الخياط :

ويمكن القول ان مجلة « الآداب » حد فاصل بين نوعين من الشعر .. الاول نسميه شعر ما قبل المطبعة ، ان صح التعبير ، بأن يكون الاسلوب القائما خطابيا مباشرا صخابا مؤثرا .. والثاني : قصيدة ما بعد المطبعة ، بأن تكون للقراءة لا للالقاء ، وأن تسود جملة شعرية جديدة بعيدة عن الخطابية في القصيدة المعاصرة ، لا يحس معها القارىء بأي نوع من الاغتراب والانفصال والانفصام بينه وبين الحدث ، وبين عصره ومواجد الشاعر .. وقد نجحت في أن تؤرخ للشعر الحديث ، بأمانة ومتابعة ذكية ، ومصاحبة النقد للشعر باحكام .

ـ عبد الوهاب البياتي :

.. كما ان « الآداب » عصمت حركة الشعر الجديدة من الوقوع في الضلال والانجراف وراء الدعاوى التي تبنتها مجلات ادبية اخرى . وقد لعبت « الآداب » دورا خطيراً في تركيز أعلام الشعر الجديد ، وعلى حفر انهار جديدة لهذه الحركة التي ظلت تهدر وهي تمضي نحو المستقبل . « فالآداب » احتضنت المصطلح الشعري الجديد من خلال احتضانها للشعراء المبدعين ، ومن خلال حركة النقد للشعر ، التي ظلت في جدل مستمر ، بما كان يصب فيها من آراء وأفكار ووجهات نظر مختلفة ، كانت تلتقي لكي تختلف ، وتختلف لكي تلتقي . ولكن المصطلح الشعري الذي احتضنته المجلة ، من خلال احتضانها للشعراء ، استطاعت ان تثبت أقدامه في طريقين ، بل في طريق واحد وان كان يلوح بأنه طريقان : الشعر من جهة ارتباطه بحركة المجتمع العربي والانساني ، ومن جهة ثانية ارتباطه بذاته ولذاته ، وبذلك حاولت « الآداب » ان تقضي على الثنائية التي حاول البعض ايقاع الشعر فيها . وبعبارة اخرى : حاولت المجلة ان تنزع عن الشعر بعض ثيابه المثالية التي خلعها عليه انصاره الآخرون ، وان تجعل المعادل الموضوعي هو المنقذ من الضلال .

وقد كان لي شرف الاسهام في مجلة « الآداب » منذ صدور أعدادها الاولى ، بحيث ان غالبية قصائد ديواني « أباريق مهشمة » كانت قد نشرت فيها ، واذكر ، على سبيل المثال لا الحصر ، ان قصيدة «الملجأ العشرون» التي نشرت في العدد الخامس (مايو ـ أيار) ١٩٥٣ ، قد كتب عنها في العدد التالي (السادس) الاستاذ محمد النقاش ما يلي : « ان هناك قصيدة وسط واحة الشعر العربي ، على الاطلاق ، أنها « الملجأ العشرون » لعبدالوهاب البياتي ، فهذا التحليق الى أسمى المعاني ، هذا التحليق الى دنيا الملاحم على أجنحة حادث يومي تافه ، فتح جديد في لغتنا ، وأني لاتساءل اذا كان في امكان التاريخ أن يحصل على أبدع وأروع وأوجز من هذه الصفحة في تصوير حالة اللاجئين الفلسطينيين » ..

وقد شعرت ، في تلك السنة الموغلة في البعد ، بالفخر والاعتزاز بهذا النقد الموجز لقصيدتي ، مما دفعني على مواصلة مسيرتي الشعرية بعزم أمضى واردة اقوى .

ـ د. جلال الخياط :

أود ان أؤكد هنا حقيقة تاريخية .. هي انه في نهاية الاربعينات كانت محاولات الشعراء الجدد الذين استطاعوا بجراة ان يقدموا أساليب مغايرة ، باقامة علاقات غير مألوفة بين الالفاظ ، وصولا الى جملة شعرية خاصة تتوزع على جهود فردية مستقلة ، بدت على استحياء ، لاول مرة ، وتطلع أصحابها انى اطمئنان ووثوق تامين بما يفعلون ، حتى وجدوا ملاذا في مجلة «الآداب» فاستطاعت ببراعة ان تؤطر تلك المحاولات ، وأن تمنحها مجالا حقيقيا ، وأن تؤكد على مضامين تعبر عن العصر تعبيرا صادقا . وشجبت « الآداب » الموضوعات الفردية المحدودة ، واحلت المضمون العام مكان الفردي ، وفضلت شاعر القضية على الشاعر التجريدي المطلق .. وبهذا اشترطت الصوت الخاص للشاعر ، عبر وعيه لهموم الآخرين ، بأصالة العملية الشعرية .. ورفضت الشعر السطحي القائم على البديهيات المعروفة .. فاحترمت قراءها ومستوياتهم الثقافية وقدراتهم على المشاركة في التجربة الابداعية وتمثلها وفهمها بصورة دقيقة .

ولو سئلت ، مرة اخرى ، عن اهم مصادر دراسة الشعر الحديث في الربع الثالث من القرن العشرين ، لاشرت الى مجلة « الآداب » دون تردد .. ولاكدت على العدد الخاص الذي صدر سنة ١٩٦٦ .

ان دور مجلة « الآداب » كبير ، ومؤثر وفعال .